استخدامات الصوفية فى التنافس الجزائرى - المغربى فى غرب إفريقيا.. حالة التيجانية

د. فتحى بولعراس

المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية، الجزائر

لم تعد الدبلوماسية الأداة الوحيدة التى توظفها الدول لتحقيق أهداف سياستها الخارجية. فبعض القضايا تتطلب اللجوء إلى أدوات أخرى أكثر تأثيرا ونفوذا فى هذا المجال، وهو ما ينطبق على الفواعل الدينية غير الرسمية، التى تملك شبكة علاقات عابرة للحدود، ويمتد تأثيرها إلى عديد الفضاءات الجغرافية. وتعد الطرق الصوفية من بين هذه الفواعل التى تحظى بأهمية بالغة لدى المقررين فى الجزائر والمغرب، نظرا لما تتمتع به من نفوذ وتأثير عابر للحدود، وشبكة علاقات تمتد من المغرب العربى إلى غرب إفريقيا، مرورا بمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء. وتتنافس الجزائر والمغرب على الهيمنة على الرصيد المعنوى للطريقة التيجانية، بغية السيطرة على شبكة علاقاتها عبر القومية، وتسخيرها لخدمة أهداف سياستيهما الخارجية فى غرب إفريقيا.

تأسيسا على ما سبق، تطرح هذه الدراسة مشكلة بحثية، تتمثل فى الإجابة عن تساؤل رئيسى، هو: ما الدوافع الحقيقية للتنافس الجزائرى- المغربى على الرصيد المعنوى للطريقة التيجانية؟. وعدة أسئلة فرعية، أهمها: هل الدافع من وراء تنافس الجزائر والمغرب على الطريقة التيجانية هو الترويج للإسلام الصوفى المعتدل، ومن ثم موازنة الفكر المتطرف والحركات الجهادية؟، وهل هناك أهداف غير معلنة لهذا التنافس تتعلق بالمصالح الاستراتيجية للبلدين فى منطقتى الساحل وغرب إفريقيا؟، وما انعكاسات الترويج للإسلام الصوفى على الظاهرة الإرهابية؟.

وتفسر الدراسة عنوانها، وتجيب عن تساؤلها الرئيسى والأسئلة الفرعية، من خلال مقاربة نظرية، تعتمد على نظريتى الألعاب والدور، وذلك على النحو التالى:

١- نظرية الألعاب:

تعتمد هذه الدراسة فى تفسير التنافس المغربى-الجزائرى على نظرية المباريات التى تقوم فى فكرتها العامة على افتراض أن الصراعات تنقسم بطبيعتها إلى فئتين رئيسيتين: صراعات تنافسية، وصراعات غير تنافسية. فالصراعات التنافسية، أو الصراعات غير القابلة للتوفيق، مثل الصراع المغربى-الجزائرى، حيث يكون مكسب أحد الطرفين خسارة بالنسبة للطرف الآخر. كما أنه إذا أمكن لطرف أن يحقق انتصارا، ثم منى بهزيمة أو بخسارة، فان حصيلته النهائية تكون فى مجموعها صفرا، ولذلك يطلق على هذا الموقف الصراعى لغة نظرية المباريات (Zero-sum-Game)، أى أن النتائج الأخيرة بمقاييس المكسب والخسارة الاستراتيجية تكون صفرا. فالمكاسب التى تجنيها الجزائر من وراء إدارتها لهذا النزاع تعد بمنزلة خسائر بالنسبة للمغرب، والعكس صحيح. وتركز نظرية المباريات على التعامل مع التنافس الجزائرى-المغربى على استغلال الطرق الصوفية كقوة ناعمة فى السياسة الخارجية تجاه جنوب الصحراء وغرب إفريقيا، بحسبانها مواقف تشتمل على صراعات ومصالح، وتنظر إليها كما لو كانت مباريات فى الاستراتيجية(١).

٢- نظرية الدور:

يمكن تفسير السلوك السياسى الخارجى للجزائر والمغرب فى منطقة الساحل وغرب إفريقيا، وفقا لهولستى، انطلاقا من تصور صناع القرار فى البلدين للدور الذى يجب أن تلعبه الدولة الوطنية، والذى يتشكل بناء على مصادر هذا الدور، والتى تشمل الخصائص السيكولوجية لصانع القرار، ومختلف قدرات الدولة السياسية والاقتصادية والعسكرية(٢).

أما فيما يخص تقسيم الدراسة، فهى تنقسم إلى ثلاثة محاور، أولها: تأثير الدين فى السياسة الخارجية، ثانيها: الصراع المغربى - الجزائرى: دوافعه ومبرراته. ثالثها وأخيرا: استخدام الطريقة التيجانية فى التنافس المغربى - الجزائرى فى غرب إفريقيا.

أولا- تأثير الدين فى السياسة الخارجية:

١- عودة الاهتمام بالدين ودواعيه:

باتت الظاهرة الدينية أحد الأبعاد التى لا يمكن تجاهلها فى العلاقات الدولية المعاصرة. فكثير من الأزمات الدولية استعصت على الحل، لأن من تصدوا لها تجاهلوا العامل الدينى، ولم يدركوا شدة تأثير الدين فى سلوكيات الأفراد والجماعات، ومن ثم فى مسار تسوية النزاعات الدولية. وهو دليل على أن الدين لم يعد ينظر إليه بحسبانه مصدرا للتوترات، بل كجزء من الحلول

المقترحة لحل النزاعات، وهو ما جعل صناع السياسات الخارجية يصلون إلى اقتناع، مفاده أن تجاهل العامل الدينى قد يؤدى الى صياغة سياسة خارجية خاطئة(٣).

لم تكن الظاهرة الدينية، قبل أكثر من عقدين من الزمن، حاضرة فى أهداف البحث فى العلاقات الدولية، باستثناء بعض الإشارات هنا وهناك. ويرجع ذلك، ربما إلى أن العلوم الاجتماعية والعلاقات الدولية، تحديدا، ترفض إقحام الظاهرة الدينية فى سياستها البحثية، نظرا لأن الثورة العلمية استبدلت بالتفسير الدينى للظواهر الطبيعية، القائم على الغيبيات، بتفسيرات عقلانية(٤). هذا التجاهل فرضته، كذلك، عمليات التحديث والعلمنة، التى أعادت تشكيل قيم الإنسان على أسس حديثة بعيداعن المعتقدات الدينية(٥). وكان كبار المفكرين فى علم الاجتماع ينظرون إلى الدين بحسبانه ظاهرة اجتماعية تشهد تراجعا كبيرا فى عالم ما بعد الحرب الباردة(٦). وكان هؤلاء يعتقدون أن النظام العسكرى الدينى القديم لم يعد له وجود، ومن ثم سيتم تعويضه بنظام علمانى(٧). وينطلق هؤلاء من فكرة أساسية، مفادها تراجع مكانة الدين فى السياسة الدولية، وأن العصر الحالى لا مكان فيه للدين. وقد انتقل هذا الإدراك إلى علماء السياسة فى الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، نذكر منهم جابريال آلموند، وديفيد آبتر، وكارل دويتش، وكانوا بدورهم يتوهمون أن الحداثة ستقلص من التأثير السياسى للظواهر الإثنية والدينية(٨). وقد نظرت الأوساط الأكاديمية الغربية إلى الدين بحسبانه قوة اجتماعية منهارة فى المجال السياسى، ولم يكن أحد يتوقع أن يصبح الدين، بأشكاله المختلفة فى التسعينيات، منافسا للأيديولوجيات كالاشتراكية، والليبرالية، والرأسمالية، التى سادت فى الخمسينيات والستينيات(٩). وما ساعد على رواج هذا الطرح هو أن حقل العلاقات الدولية تشكل تحت تأثير الإدراك الذى مؤداه أن العصر الذى كان فيه الدين المصدر الرئيسى للحروب قد ولّى إلى غير رجعة(١٠). كما تجاهلت نظريات العلاقات الدولية (الواقعية، الليبرالية أو الماركسية) الدين، وركزت بدلا من ذلك على الصراع الدولى بين الدول، وفقا لمنطق القوة، والمصلحة القومية، والحسابات العقلانية لتعظيم قوة الدولة المادية. كما لم تول هذه النظريات أهمية لدور الجماعات ذات النزعة الدينية. فقد ركزت الليبرالية على القوى الاقتصادية، والعمالية، والحقوقية، والبيئية. أما الماركسية، فتجاهلت أى تأثير للعامل الدينى فى توجيه السياسات الخارجية للدول(١١).

لقد كان لنهاية الحرب الباردة وظهور العولمة تأثير مباشر فى عملية التنظير فى حقل العلاقات الدولية، وعودة الاهتمام بالأبعاد الثقافية الحضارية والقيمية، والتى يعد الدين واحدا منها(١٢). ولم تعد الدول العلمانية تمانع فى توظيف الدين كذريعة فى سياستها الخارجية، ما دام ذلك قد يحقق مصلحتها القومية، وهو تطور لافت فى تعامل الوحدات السياسية مع الدين فى العلاقات الدولية. كما تحرر صناع القرار من القيود التى كانت تفرضها عليهم العلمانية فى الداخل أو فى الخارج(١٣).

وقد أعطت الثورة الإيرانية (١٩٧٨-١٩٧٩)، دفعة قوية للتيارات التى تخفت تحت شعارات إسلامية فى البلاد العربية، وتزامنت مع الغزو السوفيتى لأفغانستان عام ١٩٧٨، وإعلان الحركات الإسلامية للنفير العام والجهاد، وتجنيدها لآلاف المتطوعين من مختلف البلاد العربية، من أجل الدفع بهم الى ميادين القتال فى أفغانستان ضد الشيوعيين، وهى الحرب التى أظهرت قوة الدين على الحشد والتعبئة. ثم جاءت حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١)، أو ما يعرف بحرب تحرير الكويت، حيث كشفت عن توظيف الرئيس صدام حسين للدين والرموز الدينية فى حربه ضد التحالف الغربى، ووصف معركته بأم المعارك، وبأنها امتداد للحروب الصليبية(١٤).

وفى بداية الألفية الثالثة، وقعت هجمات الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، التى وصفت بأنها نقطة تحول فى إدراك صناع القرار فى الولايات المتحدة الأمريكية لقوة الدين فى العملية السياسية، حيث اعتقد المحافظون الجدد أن منفذى الهجمات كانت لديهم دوافع دينية. وقبل ذلك، أكد المفكر صموئيل هنتنجتون، عام ١٩٩٦، أن مستقبل النزاعات فى جزء كبير منه ستحدده العوامل الثقافية أو ما أطلق عليه "صدام الحضارات"(١٥).

ولكن كيف يؤثر الدين فى السياسة الخارجية؟ تشير الشواهد الميدانية المستوحاة من السياسة الدولية إلى أن السياسة الخارجية تتأثر بالآراء والمعتقدات الدينية للمقررين، ولنسقهم العقدى بشكل عام. وهذه ليست بدعة خاصة بالسياسة الخارجية. فقد كان الدين ضمن العناصر المشكلة لرؤية القادة والزعماء للعالم، حيث يؤثر الدين فى طريقة تفكيرهم، وفى إدراكهم للأشياء، ومن ثم فى المواقف والقرارات التى يتخذونها إزاء تلك القضايا(١٦). ويعد كارل ماركس أشهر من حذروا من خطورة الدين على إدراك الشعوب ونمط تفكيرهم، حين قال عبارته الشهيرة "الدين أفيون الشعوب" كنوع من الاعتراف منه بتأثير الدين فى المعتقدات والسلوك(١٧).

فأغلب الساسة وصناع القرار فى مختلف المستويات يرون الدين ضروريا لقراءة العالم الذى يحيط بهم، لاسيما فى أوقات الأزمات. وبالرغم من أنهم تجاهلوا الدين فى تفسيراتهم العقلانية للظواهر الاجتماعية، فإن علماء الاجتماع يعترفون بأن الدين يؤثر فى المعتقدات، وفى السلوكيات والمواقف السياسية. فالسياسيون الملتزمون دينيا يتبنون سلوكا سياسيا محافظا أكثر من السياسيين غير المتدينين(١٨). يعنى ذلك الأمر أن الأنساق العقدية لصناع القرار يمكن أن تؤثر فى السياسة الدولية، من خلال التأثير فى سلوكيات صناع القرار، لأن وجهات نظر المقررين مستوحاة من الدين، وما يترتب عليه من سياسات عامة تفرز أوضاعا خاطئة، وبإمكانها أن تتسبب فى أزمات دولية، بما فى ذلك الحرب(١٩).

ويعد الصراع العربى - الإسرائيلى أفضل مثال على كيفية تأثير المعتقدات الدينية فى السياسات. فقد تسبب هذا الصراع فى أربع حروب، خلال القرن العشرين، وانخرطت فى هذا الصراع قوى دولية وإقليمية. ويسود اعتقاد لدى من تصدوا لهذا الصراع، مؤداه أن طرفى النزاع كانا تحت تأثير أيديولوجيات

علمانية، دون أن يمنع ذلك من بروز دوافعهما الدينية. كما ينتمى طرفا الصراع، سواء فى المعسكر الإسرائيلى أو الفلسطينى من الرافضين لعملية السلام، إلى المعسكر القومى والدينى. إن حالة الصراع العربى – الإسرائيلى تلقى الضوء على الكيفية التى يمكن أن يؤثر بها الدين فى القرارات التى يتخذها المسئولون فى الدولة، من خلال القيود أو الإكراهات المفروضة عليهم من قبل المعتقدات الدينية الشائعة لدى المحكومين. وحتى فى المجتمعات الأوتوقراطية، يجد الحكام صعوبة بالغة فى تمرير قوانين أو سياسات تتعارض مع معتقدات الناخبين(٢٠).

٢- تحديد مفهوم الصوفية:

أعادت هجمات الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ إحياء النقاش حول علاقة الدين بالعنف، وحاولت الأوساط السياسية، والإعلامية، والأكاديمية فى الغرب إثبات وجود علاقة ارتباطية بين الإسلام بالعنف، على أساس أن منفذى الهجمات ينتسبون إلى الإسلام. وكانت الغاية من وراء هذا السجال الفكرى فهم الدوافع الدينية لظاهرة العنف، بعدما تبين لها أن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية لا تكفى لتفسير العنف.

بناء على هذا الاقتناع، راحت هذه الأوساط تتهجم على الإسلام بحسبانه دينا يحرض على العنف، وتتهم الشريعة الإسلامية بأنها تتعارض مع الديمقراطية الليبرالية، والحريات الفردية والجماعية، وحقوق الإنسان، بالرغم من وجود تيار واسع من المسلمين المعتدلين فى العالم الإسلامى من أتباع الإسلام الصوفى الذى ينبذ العنف، ويتبنى الوسطية والاعتدال منهجا ومسلكا، ولا يشكل تهديدا للدولة والمجتمع، ويزهد أتباعه فى السياسة، ويركزون جهدهم، بدلا من ذلك، على تزكية النفس لبلوغ مقام الإحسان(٢١)، لأنهم يعتقدون بأن السياسة عقبة كئود فى الطريق إلى الله(٢٢).

والصوفية هو الاسم الذى يطلق على التصوف فى الإسلام، وكل من يمارس الصوفية يطلق عليه اسم صوفى. وقد أورد الإمام أبو القاسم القشيرى (ت. ٤٦٥/١٠٧٤ ميلادية) فى الرسالة القشيرية(٢٣) أن مصطلح الصوفية يصف الأفراد الذين يتبنون سلوكا يقوم على التقشف والزهد فى الحياة الدنيا، وترك كل الملذات التى تحول بينهم وبين معرفة الله(٢٤).

بهذا المعنى، ليست الصوفية قوة سياسية، ولا طائفة إسلامية منفصلة، أو مذهبا فقهيا، بل مدرسة فكرية إسلامية معتدلة، غير عنيفة، غايتها تربية الفرد المسلم على يد شيخ مربى(٢٥). أما الغاية من اختلاف تسميتها من قادرية، وشاذلية، ودرقاوية، وهبرية، وبلقائدية، وغيرها، فللتمييز وليس للتأصيل، لأن الأصل واحد، وكلهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ملتمس(٢٦).

٣- الطريقة التيجانية كفاعل دينى فى العلاقات الدولية:

لم تعد العلاقات الدولية حكرا على الدول والمنظمات الدولية. فقد أفرزت نهاية الحرب الباردة فواعل جديدة تحاول أن تقوم بأدوار فى السياسة الدولية، فى ظل هيمنة النظرة التقليدية للعلاقات الدولية، التى لا تزال ترى فى الدول والمنظمات الدولية فواعل رئيسية فى العلاقات الدولية. ومن بين هذه الفواعل، نذكر الطرق الصوفية، التى لم تعد عبارة عن مجموعة من الأتباع والمريدين يعيشون على هامش المجتمع، وينأون بأنفسهم عن التجاذبات السياسية والدينية التى تشهدها المجتمعات الحديثة. فقد باتت الطرق الصوفية فاعلا سياسيا محليا بإمكانه التأثير فى السياسات الحكومية، كما تنظر إليها الحكومات بحسبانها مصدرا من مصادر المشروعية. وتستمد الطرق الصوفية قوتها من قوة سلسلتها الذهبية من حيث السند وصحة الرجال المشكلين لها، كما أنها مستقلة ماليا عن السلطات، ومصادر تمويلها من تبرعات المحسنين وهبات الحكومات، وهو ما جعل منها تنظيمات اجتماعية ذات قوة أخلاقية واقتصادية، ورصيد معنوى لا يمكن لأى نظام حكم أن يزهد فيه، فضلا عن قوة إشعاعها الفكرى والثقافى(٢٧).

وتعد التيجانية إحدى من هذه الطرق وأشهرها، حيث تنتشر فى كامل الفضاء الجغرافى الممتد من إفريقيا الشمالية، ودول إفريقيا جنوب الصحراء (مصر، والمغرب العربى، والسودان، ومنطقة الساحل الإفريقى)، أى على طول الشريط الذى يمتد من السنغال إلى القرن الإفريقى(٢٨).

تأسست الطريقة التيجانية عام ١١٩٥ هجرى، الموافق لعام ١٧٨٢ ميلادية، بعد رؤية العارف بالله أحمد تيجانى (١٧٣٧ إلى ١٨١٥) للنبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بواحة أبوسمجون بالجزائر، وهى الحادثة التى غيرت مجرى حياته. فقد زعم الشيخ التيجانى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمره بالتخلى عن كل الارتباطات السابقة، والدعوة إلى طريق جديدة ذات سمات نوعية واستثنائية(٢٩). وبذلك، بدت التيجانية كطريقة صوفية استثنائية، تملك أقصر سلسلة بين المؤسس والنبى صلى الله عليه وسلم. كما روجت لنفسها على أنها آخر الطرق الصوفية، ومؤسسها هو آخر الأولياء، أو "خاتم الأولياء"، أو "الغوث"، وهى صفة كانت تطلق قبل ذلك على الولى الصالح أبو مدين شعيب، المتوفى سنة ١٨٩٨ فى مدينة تلمسان بالجزائر، واستقر التيجانى فى فاس بالمغرب عام ١٧٩٨، وتوفى بها عام ١٨١٥(٣٠).

وبقدرتها على التكيف، انتشرت الطريقة فى منطقة إفريقيا جنوب الصحراء لدرجة أن عدد مريديها اليوم فى السنغال والنيجر أكثر منه فى الجزائر والمغرب، بالرغم من أن شيخ الطريقة مولود فى الجزائر(٣١).

لا شك أن هذا التنافس، بغض النظر عن أسبابه ودوافعه، هو جزء من الحرب الباردة بين القوتين الكبريين، ولا يمكن تناوله خارج السياق الدولى، ولا بعيدا عن ديناميات الحرب الباردة. فالجزائر ولحسابات تاريخية، كانت جزءا من الكتلة الاشتراكية، وعضوا نشطا فى حركة عدم الانحياز. فيما كان المغرب ضمن ترتيبات الغرب للتصدى للمد الشيوعى فى المنطقة.

ثانيا- استخدام الطريقة التيجانية فى التنافس المغربى - الجزائرى فى غرب إفريقيا:

يعد الدين إحدى أدوات تنفيذ أهداف السياسة الخارجية للدولة، وتلجأ العديد من الأنظمة السياسية إلى دعم الحركات

الصوفية والترويج لها كجزء من السياسة العامة للدولة، نظرا للمكاسب المادية، السياسية والدينية، التى تجنيها من وراء هذه السياسة(٣٢). ومع تنامى النشاط الإرهابى للجماعات الراديكالية، لجأت الأنظمة السياسية فى المغرب العربى، وفى منطقة إفريقيا جنوب الصحراء إلى توظيف الدين والترويج لما يسمى "الإسلام الصوفى" كسياسة وقائية لمواجهة الفكر المتطرف والتصدى للخطر الإرهابى، ولموازنة الحركات الإسلامية المسيسة(٣٣).

كما تفضل بعض الأنظمة العربية التقرب من الحركات الصوفية بسبب عزوفها عن السياسة(٣٤)، أى أنها لا تملك أى أهداف سياسية تجاه نظام الحكم. لكنها مقابل ذلك، تملك ما يحتاج إليه أى نظام سياسى، ألا وهى قاعدة شعبية عريضة تتشكل من ملايين الأتباع والمريدين، وهو ما تحتاج إليه هذه الأنظمة لسد العجز فى المشروعية، أو لضمان استمرارها وبقائها، حين تكون فى مواجهة تهديدات داخلية أو خارجية(٣٥).

١ - المغرب والطريقة التيجانية:

من هذا المنطلق، تحظى الطريقة التيجانية بأهمية بالغة لدى صناع القرار فى الجزائر والمغرب، نظرا لما تملكه من شبكة علاقات عابرة للحدود، وتأثير يمتد إلى إفريقيا جنوب الصحراء وغرب إفريقيا. ويتنافس النظامان الجزائرى والمغربى على الرصيد المعنوى للتيجانية بغرض توظيفه لتحقيق غايات استراتيجية. فالمغرب يرى فى الطريقة التيجانية أحد المصادر الأساسية لدبلوماسيته الدينية تجاه منطقة إفريقيا جنوب الصحراء وغرب إفريقيا، ويزعم أنها طريقة مغربية بحكم أن مؤسس الطريقة عاش وتوفى فى مدينة فاس(٣٦).

كما يسعى المغرب من وراء هذه السياسة إلى تحقيق ثلاثة أهداف، هى ضمان أمنه القومى، وتوظيف التيجانية كأداة للترويج لنوع من الإسلام الصوفى على المذهب المالكى، ومواجهة الحركات الإسلامية الراديكالية فى منطقة الساحل وغرب إفريقيا. ويحاول المغرب، كذلك، تقديم نفسه للغرب على أنه ضالع فى أساليب المواجهة الأيديولوجية مع الحركات الجهادية، على أساس أن سياسة "الكل أمنى" قد أظهرت محدوديتها فى التصدى للظاهرة الإرهابية، إلى جانب تعزيز العلاقات مع دول إفريقيا جنوب الصحراء(٣٧). ويتطلع المغرب من وراء دبلوماسيته الروحية تجاه منطقة إفريقيا جنوب الصحراء وغرب إفريقيا الى تعزيز نفوذه السياسى والاقتصادى، وتحقيق طموحات إقليمية وجيو-استراتيجية، إلى جانب الحضور الإقليمى.

لقد أدرك المغرب أن تحقيق تلك الأهداف يقتضى صياغة سياسة إفريقية جديدة تقوم على عدة محاور دبلوماسية، من أهمها تطبيع العلاقات مع كثير من الدول الإفريقية، وفتح الممثليات الدبلوماسية، وتكثيف الزيارات الرسمية للمسئولين المغاربة، وعلى رأسهم العاهل المغربى، الذى زار أكثر من أربعين دولة إفريقية، فضلا عن نشر المذهب المالكى، حيث أقام المغرب علاقات تعاون مع كثير من الدول الإفريقية فى الساحل وغرب إفريقيا فى المجال الدينى، تجسدت فى تمويل بناء المساجد وتكوين الأئمة، علاوة على سياسة ظاهرها تكثيف التعاون الأمنى مع حلفائه داخل الاتحاد الإفريقى، ولكن باطنها التصدى للدول الفاعلة فى الاتحاد، وتحديدا الجزائر، وإفريقيا الجنوبية، ونيجيريا، من خلال موازنة نفوذها بتشكيل تحالفات جديدة داخل الاتحاد الإفريقى(٣٨).

كما يتطلع المغرب من وراء هذه السياسة إلى فرض نفسه كفاعل عبر إفريقى، مستغلا تراجع دور الجزائر فى إفريقيا(٣٩). فى هذا السياق، صاغ المغرب دبلوماسية اقتصادية تجاه غرب إفريقيا، تجلت بشكل لافت فى انتشار المصارف المغربية وشركات التأمين فى المنطقة التى تعرف حضورا قويا للطريقة التيجانية. فأول مصرف هو "التجارى وفاء" فى منطقة الفرنك الإفريقى (CFA)، ويبلغ عدد وكالاته ٣٥٣، وهو بنك تابع للطريقة التيجانية. وفى ساحل العاج، بات المغرب أول مستثمر أجنبى بمشاريع بلغت تكلفتها ١٥٠ مليون يورو لتجديد خليج كوكودى فى أبيدجان(٤٠).

ومن أجل الحفاظ على هذه المكاسب الدبلوماسية والاقتصادية، قرر المغرب استثمارها داخل الاتحاد الإفريقى، الذى عاد إليه فى مؤتمر القمة الثامنة والعشرين فى أديس أبابا بإثيوبيا، فى ٣٠ يناير ٢٠١٧، بعد أكثر من ثلاث وثلاثين سنة من المقاطعة، احتجاجا على قبول عضوية الجمهورية العربية الصحراوية عام ١٩٨٢. كما ينم هذا القرار عن رغبة حقيقية للمغرب فى امتلاك سياسة خارجية إفريقية فى إطار استراتيجية جنوب - جنوب، بإمكانها أن تخدم مصالحه العليا(٤١).

من هذا المنطلق، أدرك المغرب أهمية الوجود داخل هياكل الاتحاد الإفريقى للدفاع عن مصالحه الاستراتيجية، على أساس أنه سيكون من السهل على القيادة المغربية إسماع صوتها داخل الاتحاد، ومن ثم إقناع الدول الأعضاء بوجهة نظرها فى القضايا التى تهمها(٤٢). ويبدو أن المغرب لم يقدم على هذه الخطوة إلا بعد أن تلقى ضمانات من فرنسا بتزويده بما يحتاج إليه من دعم وتأييد يساعده على تطوير علاقاته مع دول غرب إفريقيا، ثم مع شرق إفريقيا لاحقا(٤٣). كما تعتقد القيادة المغربية بأن العودة إلى الاتحاد الإفريقى ستمكنها من موازنة العلاقات السيئة مع الجزائر بسبب النزاع حول الصحراء الغربية(٤٤).

ويحيلنا الحديث عن الدبلوماسية الدينية للمغرب فى غرب إفريقيا إلى خصوصية العلاقات بين المغرب والسنغال. هنا، يبرز البعدان، السياسى والاجتماعى، للطريقة التيجانية وشبكة علاقاتها، وكذا دورها فى تقوية هذه العلاقات بين الرباط وداكار لدرجة أنه بات من غير الممكن الحديث عن علاقات ثنائية بين البلدين من غير أن نشير إلى الطريقة التيجانية فى السنغال، حيث تحولت إلى مصدر دعم للعلاقات الثنائية بين البلدين. واللافت للنظر أن هذه العلاقات لم تبق محصورة فى الجانب المؤسساتى، بل تطورت لتشمل العلاقات الشخصية بين رموز التيجانية والمسئولين فى المغرب. وتتولى الوكالة المغربية للتعاون الدولى الإشراف على تقديم المنح الدراسية للطلبة الوافدين من جنوب الصحراء للدراسة فى الجامعات المغربية(٤٥).

ولتعزيز نفوذه فى غرب إفريقيا، استغل المغرب "رابطة علماء المغرب والسنغال" كأداة لتنفيذ أهداف سياسته الخارجية فى بعدها الروحى، حيث تأسست عام ١٩٨٥ تحت رعاية كل من الملك الراحل الحسن الثانى والرئيس السنغالى السابق عبدو ضيوف، لتكون بمنزلة الذراع الدينية للتعاون بين البلدين فى هذا المجال(٤٦). لقد حافظ المغرب على علاقات روحية مع دول المنطقة، عبر الطرق الصوفية، وتحديدا التيجانية، التى تعد جدارا منيعا ضد السلفية الجهادية(٤٧). كما أعاد المغرب صياغة علاقته بالتيجانيين، الذين ينتشرون فى البلدان الإفريقية على امتداد منطقة الساحل والصحراء، ودفع هذه العلاقة فى اتجاه تمكين أتباع الزاوية التيجانية من القيام بأدوار دبلوماسية موازية، تسهم فى تقوية الروابط بين المغرب و بلدان إفريقية(٤٨).

وإلى جانب المدخل الدينى، تبنى المغرب فى تغلغله فى منطقة إفريقيا جنوب الصحراء سياسة جديدة، تقوم على تكثيف التعاون الاقتصادى وزيادة حجم الاستثمارات المغربية فى جنوب الصحراء وغرب إفريقيا على قاعدة "رابح – رابح". فالقارة مرشحة لأن تتحول إلى إحدى كبرى الأسواق العالمية بتعداد ملياري نسمة فى أفق ٢٠٥٠. وتشكل الاستثمارات المغربية فى منطقة غرب إفريقيا (مالى، وغينيا، والجابون، وساحل العاجل ..) نحو نصف الاستثمارات الأجنبية، المباشرة. وشملت مجالات التمويل، والتأمين، والاتصالات، والبنية التحتية، والإسكان، والمعادن ... إلخ، وهو ما أهل المغرب ليكون أول مستثمر فى غرب إفريقيا، متقدما على دول قوية، مثل فرنسا، والصين، وتركيا. إجمالا، سجل المغرب حضورا اقتصاديا فى ٢١ دولة(٤٩).

لقد أدركت القيادة المغربية أهمية الإرث الروحى المغربى – الإفريقى المشترك فى بناء استراتيجية بعيدة المدى مع دول إفريقيا(٥٠)، وهو ما يفسر الزيارات المتكررة لملك المغرب، محمد السادس، إلى ٢٩ دولة إفريقية، منتصف عام ٢٠١٧. كما التقى العاهل، المغربى، خلال جولته الإفريقية عامى ٢٠١٣ و٢٠١٤، مجموعة من الزعماء الدينيين، وشيوخ الطرق الصوفية التيجانية، والقادرية، والمريدية، فى السنغال، وساحل العاج، والجابون.

٢ – الجزائر والطريقة التيجانية:

أما علاقة النظام الجزائرى بالطرق الصوفية، فتعود إلى الستينيات من القرن العشرين. فقد أدرك الرئيس الراحل هوارى بومدين أهمية توظيف الطرق الصوفية فى سياسته الإفريقية، خصوصا ما تعلق بحشد الدعم لقضايا تقرير المصير. كما كانت له فيها مآرب أخرى تتعلق بالسياسة الداخلية(٥١). وتنتشر الطرق الصوفية بشكل واسع فى الجزائر، ولها مريدون وأتباع بالآلاف فى كل الولايات الجزائرية، إذ لا تخلو ولاية من زاوية أو ضريح لولى صالح.

من هذا المنطلق، تعد الجزائر المركز الروحى الثانى فى العالم، نظرا لوجود ثلاث طرق صوفية كبرى من أمهات الطرق فى العالم: التيجانية وهى طريقة جزائرية من حيث الولادة والمنشأ، والطريقة القادرية التى يوجد أكثر فروعها فى الجزائر، نذكر منها القادرية للشيخ عبدالرحمن الثعالبى، وصهره الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلى التلمسانى، الذى فتح مدينة تومبوكتو، وأسس بها دولة، ومر بتمنطيط بأقصى صحراء الجزائر. أما الطريقة الثالثة، فهى الطريقة الكونتية بأقصى جنوب الجزائر على الحدود مع مالى. وتنتشر القادرية والكونتية فى عموم دول الساحل الإفريقى فى مالى، وبوركينافاسو، والسنغال(٥٢).

وفى عام ١٩٨٣، قرر الرئيس الراحل الشاذلى بن جديد نقل جثمان حفيد مؤسس الطريقة التيجانية، الشيخ محمد حبيب، المدفون بالسنغال منذ ١٩٥٠، إلى مسقط رأسه لدفنه هناك. وفى عام ١٩٨٤، نظمت الحكومة الجزائرية تجمعا لأتباع الطريقة فى مسقط رأس مؤسس الطريقة بمدينة عين ماضى جنوب العاصمة. وقد حضر هذا التجمع مريدون من دول إفريقيا جنوب الصحراء، وتونس، ومصر. كما منحت الجزائر مساعدة مالية للسنغال تقدر بـ ٢٠ مليون دولار لإنجاز مشروعات سكنية فى العاصمة داكار. وفى عام ١٩٨٥، رد المغرب على تحركات الجزائر بتنظيم ملتقى دولى حول الطريقة التيجانية، شارك فيه مريدون من دول إفريقيا جنوب الصحراء. ونظير ذلك، تحصلت الطريقة التيجانية على مبلغ مالى يقدر بنحو مليون دولار لتمويل أشغال بناء المسجد الكبير فى مدينة باى (Baye)، وهى مدينة مهمة بالنسبة للطريقة التيجانية، التى يتبعها عشرات الملايين من نيجيريا، وغانا، والنيجر، وفى أوساط المهاجرين الأفارقة فى أوروبا، وفى الولايات المتحدة الأمريكية(٥٣).

ومع وصول عبدالعزيز بوتفليقة إلى الحكم عام ١٩٩٩، برز اهتمامه بالطرق الصوفية بشكل لافت أكثر من الرؤساء السابقين. فقد اعتمد عليها فى تثبيت أركان حكمه، وسعى لكسب دعمها وتأييدها لاستمراره فى الحكم، بعد أن خرق الدستور عام ٢٠٠٨، ليترشح لفترتين رئاسيتين ثالثة ورابعة(٥٤). كما استخدمها لأمور تتعلق بالسياسة الداخلية، ولموازنة الحركات الراديكالية والتيار السلفى بشكل عام. ففى عام ٢٠٠٦، عقد مؤتمر للطريقة التيجانية بمحافظة الأغواط جنوب العاصمة، ناقش فيه المشاركون آليات توظيف الرصيد المعنوى للطريقة التيجانية لمواجهة الحركات الراديكالية، أو ما يعرف بالسلفية الجهادية(٥٥). وقد تبنى نظام بوتفليقة مع الطرق الصوفية المقاربة ذاتها التى تبناها النظام المغربى، والمتمثلة فى دعم الطرق الصوفية، واستخدامها كسلاح فعال فى مواجهة التيار السلفى الجهادى، والحركات الإسلامية التى يتخوف منها النظام، وذلك بعد فشل سياسات "الكل أمنى" فى التصدى للظاهرة الإرهابية خلال التسعينيات من القرن الماضى(٥٦).

وبالرغم من تراجع الدور الجزائرى فى إفريقيا بسبب الأزمة الأمنية فى التسعينيات، لا تزال الجزائر تحتفظ بشبكة علاقات واسعة من العلاقات مع الدول الإفريقية، إلى جانب نفوذ واسع. وقد مكن ارتفاع أسعار النفط فى الفترة الأولى للرئيس السابق، عبدالعزيز بوتفليقة، من استعادة السياسة الخارجية لعافيتها. وكانت البداية مع محو ديون أربعة عشر بلدا إفريقيا، والمقدرة بـ ٩٠٠ مليون دولار، مقابل اصطفافها إلى جانب الجزائر فى قضايا إقليمية ودولية داخل هياكل الاتحاد الإفريقى(٥٧).

بيد أن هذا التوجه لم يستمر طويلا. فقد انشغل الرئيس السابق بصراعه مع قيادة جهاز المخابرات، الذى كان مديره السابق الفريق محمد مدين (توفيق) ينازعه هذه الصلاحيات. وقد قضى الرئيس بوتفليقة أغلب فترة حكمه وهو يخوض حروبا مع هذا الجهاز. وقد تمكن، بفضل تحالف مع رئيس أركان الجيش السابق، الراحل الفريق أحمد قايد صالح، من حسم المعركة عام ٢٠١٥، وأحال مدير المخابرات إلى التقاعد، وبذلك انتقل مركز ثقل السلطة إلى مؤسسة الرئاسة.

لكن مقابل ذلك، ضيعت الجزائر رصيدا معنويا ثمينا فى إفريقيا، اكتسبته فى الفترة الممتدة من ١٩٦٢ إلى ١٩٨٩، وقد تبخر هذا الرصيد عقب دخول البلاد فى دوامة العنف والإرهاب، إثر تدخل الجيش لوقف المسار الانتخابى عام١٩٩٢. ولم يعد للجزائر سياسة إفريقية، وأصيبت سياستها الخارجية بالجمود والتكلس بسبب مرض الرئيس، وافتقدت روح المبادرة والطموح، ولم تتمكن من تجديد سياستها الخارجية، تماشيا مع التحولات الإقليمية والدولية الراهنة، وظلت متمسكة بخطاب معارض للإمبريالية.

ومن مظاهر إهمال الجزائر لعمقها الاستراتيجى الإفريقى أن الرئيس السابق لم يزر قط الدول الإفريقية، باستثناء مشاركته فى مؤتمرات القمة للاتحاد الإفريقى، مفضلا تطوير علاقات بلاده بدول أوروبا، وعلى رأسها فرنسا، حيث يفوق عدد زياراته إلى هذا البلد عدد زياراته إلى إفريقيا، خلافا للرئيس السابق الراحل الشاذلى بن جديد، الذى زار إفريقيا أكثر من ثلاثين مرة(٥٨).

٣ - التنافس الجزائرى - المغربى على الساحل وغرب إفريقيا:

لم ينحصر التنافس الجزائرى - المغربى على منطقة الساحل وغرب إفريقيا، بل تجلى فى مواطن عدة، منها دولة مالى، على سبيل الذكر، لا الحصر، حيث تخلت الجزائر عن الرئيس المالى السابق المعزول، أمادو تومانى تورى، لأنه تنكر لها واقترب من المغرب. فى هذا الإطار، كان المغرب يرى نفسه لاعبا رئيسيا فى مالى، فى وقت كانت فيه الجزائر تهيمن على المجلس الأعلى من أجل الوحدة للأزواد، والحركة العربية للأزواد التى تربطها كذلك علاقات بموريتانيا. من جهتها، احتضنت الجزائر فى ٢٩ يناير ٢٠١٣ مؤتمرا تأسيسيا توج بتأسيس "رابطة علماء وأئمة دول الساحل"، بغرض مكافحة التطرف الدينى على المستويين الروحى والسياسى. فدول الساحل وغرب إفريقيا فى إدراك صانع القرار الجزائرى معروفة بتسامحها ونبذها للتعصب الدينى. ومن ثم، فإن تأسيس هذه الهيئة كان قرارا صائبا يرمى إلى لفت أنظار قيادات هذه الدول إلى خطورة التطرف الدينى على أمنها واستقرارها. ويبرز هنا دور الطرق الصوفية فى محاربة التطرف والترويج للمذهب المالكى بحسبانه أحد مظاهر الإسلام المعتدل. وبذلك، تتقاطع أهداف السياستين الخارجيتين للجزائر والمغرب فى المنطقة حول هذه النقطة تحديدا.

وكرد فعل له على تحركات الجزائر لاستغلال الرصيد المعنوى للطريقة التيجانية لإعادة الانتشار فى منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، قرر الملك محمد السادس توظيف البعد الروحى الدولى للتيجانية وجعل اللقاء السنوى للتيجانية بمدينة فاس مؤتمرا دوليا يشارك فيه أتباع الطريقة من القارات الخمس، لتأكيد ولاء المريدين للمغرب، الذى يروج لمدينة فاس بحسبانها قلعة التيجانيين حيث يوجد بها ضريح مؤسسة الطريقة، وهو ما تم فى منتصف مايو ٢٠١٤، حيث نظم المغرب لقاءً دولياً لأتباع الطريقة فى مدينة فاس. لكن الخليفة العام للطريقة التيجانية بالجزائر، الشيخ على التيجانى، تبرأ منه(٥٩)، بحجة أن السلطات المغربية لم تستشر الخلافة العامة للتيجانية فى الجزائر حول فكرة تنظيم هذا الملتقى، ومن ثم فإنه لا يمثل الطريقة، وهى غير معنية به، مؤكدا أن هذه الأنشطة لا تعبر عن الطريقة كخلافة عامة، وعن أتباعها عبر العالم(٦٠). كما تحفظ الخليفة العام للطريقة على الدعوة التى وجهت له من الزاوية التيجانية فى فاس لحضور الملتقى، لأنها أسقطت عنه صفة الخليفة العام للطريقة التيجانية، وهو ما يؤكد -حسب رأيه- عدم اعتراف المغرب بالخلافة العامة، بالرغم من أن ٣٥٠ مليون مريد، عبر أنحاء العالم، يعترفون بها. وأكد أن الطريقة التيجانية طريقة جزائرية محض، منذ تأسيسها من طرف الشيخ سيدى أحمد التيجانى سنة ١٧٨٢ فى مدينة بوسمجون (غربى الجزائر)(٦١). كما رأى فى سلوك المغرب محاولة لاختطاف الطريقة من الجزائر، على أساس أن الخلافة العامة للطريقة الصوفية توجد بالجزائر، وليس فى المغرب(٦٢). ويكشف رد فعل الخليفة العام حول تجاهل المغرب للخلافة العامة للطريقة التيجانية، ومحاولة إلغاء المركز الروحى للطريقة بالجزائر، عن صراع خفى بين الجزائر والمغرب حول من يسيطر على الطريقة التيجانية فى المنطقة(٦٣).

هناك عوامل عدة دفعت الجزائر إلى تفعيل دبلوماسيتها الاقتصادية تجاه إفريقيا، نذكر منها أهمية إفريقيا للجزائر، كعمق استراتيجى يرتبط ارتباطا وثيقا بأمنها القومى، ومواجهة التغلغل المغربى فى إفريقيا الغربية(٦٤). لقد باتت الجزائر تستشعر الخسائر السياسية والدبلوماسية الناجمة عن تراجع دورها قارياً، وتحاول أن تستدرك ما فاتها، وهو ما يتجلى فى عودة الروح الى الدبلوماسية الجزائرية بانتخاب الرئيس عبد المجيد تبون فى ١٢ ديسمبر ٢٠١٩. فقد أكد فى خطاب التنصيب أن الدبلوماسية الجزائرية قد استوعبت الدرس من أخطاء الماضى، حيث وضعت سياسة إفريقية جديدة تأخذ فى الحسبان المتغيرات الدولية والإقليمية الراهنة(٦٥).

وفقا لهذا المعنى، يكشف مخطط عمل حكومة الوزير الأول عبد العزيز جراد، فى الفصل الرابع الموسوم بـ "من أجل سياسة خارجية نشطة وسابقة التأثير"، عن رغبة قوية لدى الرئيس الجديد فى صياغة سياسة خارجية جديدة، تعيد للجزائر المكانة والدور اللائقين بها فى محيطيها الإقليمى والدولى، بما يتناسب مع حجمها كقوة إقليمية. من هذا المنطلق، أعاد مخطط عمل الحكومة تحديد دوائر السياسة الخارجية الجزائرية وأولوياتها، حيث حصرها فى ترقية حركات التعاون والشراكة، والاندماج فى كل التجمعات التى تنتمى إليها الجزائر، وهى منطقة المغرب العربى، والساحل الإفريقى، والمنطقة العربية، والمجموعة الإسلامية، والفضاء المتوسطى. ومن أجل بلوغ هذه الأهداف،

أكدت الحكومة الجديدة أنه سيتم تطبيق استراتيجية لدعم حضور الجزائر فى الهياكل التنفيذية للمنظمات الجهوية والدولية التى هى عضو فيها(٦٦).

واللافت فى إدراك الرئيس عبدالمجيد تبون للسياسة الإفريقية للجزائر وعيه بأهمية إدراج البعد الاقتصادى فى الدبلوماسية الجزائرية تجاه إفريقيا، وسيتم ذلك عبر مرافقة المتعاملين الاقتصاديين الجزائريين فى إدارة استثماراتهم فى منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، وغرب إفريقيا. وبالموازاة مع الدبلوماسية الاقتصادية، قرر الرئيس عبدالمجيد تبون تبنى دبلوماسية ثقافية تكون فى خدمة الرصيد المعنوى للجزائر، وذلك عبر تطوير شبكة المراكز والمعاهد الثقافية الجزائرية فى الخارج. ويبدو أن الجزائر فى عهد الرئيس تبون عازمة على استدراك ما فاتها فى إفريقيا. فقد أكد مخطط عمل الحكومة جعل الدبلوماسية الثقافية آلية لتعزيز الحضور الثقافى الجزائرى فى إفريقيا، والعالم، والإسهام فى تصدير المرجعية الدينية للجزائر المتمثلة فى الإسلام الصوفى المعتدل المستمد من فقه الإمام مالك، ورواية ورش فى القرآن الكريم، وتبنى خطاب دينى معتدل يروج لأفكار الوسطية والاعتدال والتسامح، ونبذ التطرف والخلاف(٦٧).

وفقا لهذا المعنى، تتجه الجزائر فى ظل العهد الجديد، على صعيد سياستها الإفريقية، إلى إعادة إحياء شبكة ارتباطاتها مع الطرق الصوفية وتوظيفها كأداة لتحقيق أهداف سياستها الثقافية تجاه منطقة إفريقيا جنوب الصحراء وغرب إفريقيا. لكن هذا التوجه يتطلب تعبئة الموارد، وهو ما يفسر قرار الرئيس تبون، فى قمة الاتحاد الإفريقى فى أديس أبابا، إنشاء "الوكالة الجزائرية للتعاون الدولى من أجل التضامن والتنمية"، مع تأكيد بعدها الإفريقى، وهو ما يعنى أن صناع القرار فى الجزائر عازمون على استدراك ما فات، وإعادة إحياء شبكة العلاقات الجزائرية–الإفريقية التى تعود جذورها إلى أيام ثورة التحرير.

استنتاجات:

ختاما، يمكن القول إن التنافس الجزائرى–المغربى على توظيف الرصيد المعنوى للطريقة التيجانية، كقوة ناعمة فى السياسة الخارجية للبلدين تجاه منطقة إفريقيا جنوب الصحراء وغرب إفريقيا، يرمى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المعلنة، تتعلق بالأمن القومى، من خلال الدعاية للإسلام الوسَطى وفقا للنموذج الصوفى، ومن ثم التصدى للتطرف الفكرى الذى تروج له الحركات الجهادية فى المنطقة، ولحماية مرجعيتهما الفكرية. لكن مقابل ذلك، يخفى هذا التنافس أهدافا مستترة تتعلق بأهداف السياسة الخارجية للبلدين الجارين، كالرغبة فى احتلال المكانة الإقليمية، وتعزيز النفوذ الإقليمى، وبتبوؤ مكانة الدولة الروحية، ومصدر الإسلام الصوفى المعتدل، إلى جانب البحث عن أسواق خارجية للإنتاج الوطنى.

الهوامش :

١– إسماعيل صبرى مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة فى الأصول والنظريات، ط ٢ (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩١) ص٢٤٩.

٢– لمزيد من التفاصيل حول ضرورة إدراج العامل الدينى فى عملية صنع السياسة الخارجية، انظر:

- Stephane G. Walker, Role Theory and Foreign Policy Analysis (USA: Duke Press Policy Studies, 1987), p.2.

3- Madeleine Albright, The Mighty and the Almighty, Harper Collins, 2006, p.352.

4- Karen T. Liftin, "Environment, Wealth, and Authority: Global Climate Change and Emerging Modes of Legitimation", International Studies Review 2, No. 2 (2000), pp. 148.119

٥– أ.د. صالح بن محمد الخثلان، الدين والسياسة الخارجية الروسية، مركز الفكر الاستراتيجى للدراسات، https://fikercenter.com/studies/الدين–فى–السياسة–الخارجية–الروسية

6- Anson Shupe, "The Stubborn Persistence of Religion in the Global Arena", in Emile Sahliyeh, ed., Religious Resurgence and Politics in the Contemporary World (New York: State University of New York Press, 1990), p. 19; Brian S. Turner, Religion and Social Theory, 2d ed. (London: Sage, 1990).

7- Ibid, pp. 134-135.

٨– لمزيد من التفاصيل حول الأدبيات الكلاسيكية، انظر:

- Jonathan Fox, "The Salience of Religious Issues in Ethnic Conflicts: A Large-N Study", Nationalism and Ethnic Politics 3, No. 3 (1997); Jeff Haynes, Religion in Third World Politics (Boulder, Colo.: Lynne Rienner, 1994); and Sahliyeh, ed., Religious Resurgence

9- Fabio Petito, Pavlos Hatzopoulos, Religion in International Relations: The Return from Exile. Edited by New York: Palgrave Macmillan, 2003. p.296.

10- Carsten B. Laustsen and Ole Waever, "In Defense of Religion: Sacred Referent Objects for Securitization", Millennium 29, No. 3 (2000), p.706.

١١- أ.د. صالح بن محمد الخثلان، الدين والسياسة الخارجية الروسية، مركز الفكر الاستراتيجى للدراسات، أول فبراير ٢٠١٧: https://fikercenter.com/studies/الدين-فى-السياسة-الخارجية-الروسية.

١٢- د. نادية محمود مصطفى، الإسلام والسياسة الخارجية المصرية: دراسة فى نمط العلاقة وتفسيرها وتقويمها، مركز الحضارة، http://hadaracenter.com/pdfs/والسياسة_الإسلام

١٣- لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر:

- سكوت دبليو.هيبارد، الدين ووظائفه السياسية، ترجمة فاطمة نصر (القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠١٣)، ص٣٣٦: https:// www.aljazeera.net/knowledgegate/books/22/1/2014/الدين-ووظائفه-السياسية

14- Fabio Petito, Pavlos Hatzopoulos, Religion in International Relations: The Return from Exile. Edited by New York: Palgrave Macmillan, 2003. p.296.

15- Ibid.,

16- Rodney Stark and William Bainbridge, The Future of Religion: Secularization, Revival and Cult Formation (Berkeley: University of California Press, 1985), p.366.

١٧- حول نظرة كارل ماركس للدين، انظر:

- Bryan S Turner, Religion and Social Theory, City University of New York, USA, SAGE Publications Ltd, 1991, p.288.

18- Bernadette C. Hayes, "The Impact of Religious Identification on Political Attitudes: An International Comparison", Sociology of Religion 56, No. 2 (1995).

١٩- حول علاقة الدين بالنزاعات الإثنية والحروب، انظر:

- David Carment and Patrick James, 'Escalation of Ethnic Conflict,' International Politics 35 (1998), p.68.

- Deepa Khosla, "Third World States as Intervenors in Ethnic Conflicts: Implications for Regional and International Security", Third World Quarterly 20, No. 6 (1999), p.1152.

20- Errol A Henderson, Culture or Contiguity: Ethnic Conflict, the Similarity of States, and the Onset of War, 1820-1989, The Journal of Conflict Resolution, Vol. 41, No. 5 (Oct., 1997), pp. 649-668, http://www.jstor.org/stable/174468

21- Fait Muedini, Sufism and Anti-Colonial Violent Resistance Movements: The Qadiriyya and Sanussi Orders in Algeria and Libya, Open Theology, 2015; 1: 145134, https://www.degruyter.com/downloadpdf/j/opth.2014.1.issue-1/opth-2015-0003/opth-2015-.0003pdf

22- Rabia Nasir, Arsheed Ahmad Malik, ROLE AND IMPORTANCE OF SUFISM IN MODERN WORLD, International Journal of Advancements in Research & Technology, Volume 2, Issue1, January-2013 1, http://www.ijoart.org/docs/ROLE-AND-IMPORTANCE-OF-SUFISM-IN-MODERN-WORLD.pdf.

٢٣- الإمام أبو القاسم القشيرى، الرسالة القشيرية، تحقيق الإمام عبدالحليم محمود، والدكتور محمود بن الشريف، (القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩)، ٦٤٠ص.

24- Rabia Nasir, Arsheed Ahmad Malik, op.cit.,

25- Jonathan Brown,Salafis and Sufis in Egypt, The Carnegie papers, Carnegie Endowment for International Peace, December 2011. https://carnegieendowment.org/files/salafis_sufis.pdf

٢٦- الشيخ سيدى محمد بلقائد، ورد سعادة الدارين للطريقة البلقائدية الهبرية، زاوية الشيخ سيدى محمد بلقائد، (وهران: سيدى معروف، ٢٠١٩)، ص٤.

27- Jean-Louis Triaud, La Tidjaniya, une confrrie musulmane transnationale, Politique trangre, Vol. 75, No. 4 (HIVER 2010), Institut Franais des Relations Internationales, pp. 832-833: https://www.jstor.org/stable/42715831

28- Ibid.,

29- Ibid.,

30- Ibid.,

31- El AdnaniJillali, La Tidjaniyya 1781-1881, Les origines d'une confrrie religieuse au Maghreb, Editions Marsam, Rabat, 2007, p.127.

32- Fait Muedini, The Promotion of Sufism in the Politics of Algeria and Morocco, Islamic Africa, Vol. 3, No. 2 (FALL 2012), p.3. https://www.jstor.org/stable/42636202

33- Ibid., p.4.

٣٤- حول نظرة هواري بومدين للنزاع مع المغرب، انظر:

- Grimaud, Nicole, La politique extérieure de l'Algérie. Paris, Éditions. Karthala, 1984, p.376.

35- Muedini, op.cit., p.8.

36- Youssef Ait Akdim, La Tidjaniyya, arme secrte du soft power marocain en Afrique, Le Monde, 26/04/2016, https://www.lemonde.fr/international/article/29/04/2016/la-tidjaniyya-arme-secrete-du-soft-power-marocain-en-afrique_4911069_.3210html

37- Ibid.,

38- Philippe Hugon, Le retour du Maroc au sein de l'Union africaine et son adhsion la CEDEAO: quelles consquences pour les ensembles rgionaux? IRIS, 22/06/2017, https://www.iris-france.org/96440-le-retour-du-maroc-au-sein-de-lunion-africaine-et-son-adhesion-a-la-cedeao-quelles-consequences-pour-les-ensembles-regionaux/

39- Franois Soudan, Comment l'Algrie a perdu l'Afrique, Jeune Afrique, 7/04/2019, https://www.jeuneafrique.com/mag/759569/politique/edito-comment-lalgerie-a-perdu-lafrique/

40- Youssef Ait Akdim, La Tidjaniyya, arme secrte du soft power marocain en Afrique, Le Monde, 26/04/2016, https://www.lemonde.fr/international/article/29/04/2016/la-tidjaniyya-arme-secrete-du-soft-power-marocain-en-afrique_4911069_.3210html

41- Aomar Baghzouz, MAROC- UNION AFRICAINE,Motivations, Enjeux et scnario d'un retour annonc, El Watan, 31/07/2016.

42- Guillaume GUGUEN, Pourquoi le Maroc souhaite rintgrer l'Union africaine, France24, 18/07/2016, https://www.france.24com/fr/20150718-maroc-m6-mohammed-vi-reintegration-retour-ua-sahara-occidental-polisario-rasd-algerie

43- Julie Chaudier,Le Maroc rejoint l'Union africaine et va chercher expulser un autre membre, La Libre Belgique, 31/01/2017, https://www.lalibre.be/international/le-maroc-rejoint-l-union-africaine-et-va-chercher-a-expulser-un-autre-membre-588fa212cd70ff671de50ced

44- Richard Werly,Le soft power marocain l'preuve de l'Afrique, Le Temps, 16/12/2017, https://www.letemps.ch/monde/soft-power-marocain-lepreuve-lafrique

45- Bakary Samb, La Tidjaniya dans les relations entre le Sngal et le Maroc indpendants; Les cheikhs de la diplomatie et les oulmas bilatraux - Par, https://www.asfiyahi.org/3-5-La-Tidjaniya-dans-les-relations-entre-le-Senegal-et-le-Maroc-independants--Les-cheikhs-de-la-diplomatie-et-les_a.1676html

46- Ibid.,

٤٧- يتعين على أتباع الطرق الصوفية بذل مزيد من الجهد لاستقطاب الشباب المنبهر بالتيار السلفى، لأن السلفيين يستعملون الوسائط التكنولوجية ووسائل التواصل الاجتماعى لمحاربة الحداثة الاجتماعية والسياسية. السلفية بسيطة ككل الخطابات الأيديولوجية. لذلك، يتعين على الطرق الصوفية التكيف مع التحولات الجديدة لإيصال خطابها ورسالتها إلى الشباب:

https://timbuktu-institute.org/index.php/toutes-l-actualites/item/138-le-politologue-senegalais-bakary-sambe-analyse-l-influence-religieuse-du-royaume-sur-le-continent-et-l-offensive-des-pays-qui-tentent-de-la-concurrencer

٤٨- سليم حميمنات، تصدير "الأمن الروحى" كآلية استراتيجية لدعم التمدد المغربى فى إفريقيا، ١٢ مارس ٢٠١٣: https://mipa.institute/5496

٤٩- محمد طيفورى، مداخل اختراق المغرب إفريقيا، العربى الجديد، ١٤ ديسمبر ٢٠١٦: https://www.alaraby.co.uk/opinion/13/12/2016/مداخل-اختراق-المغرب-إفريقيا-١

٥٠- حول الحركات الإسلامية غير المسيسة انظر: توفيق حسنين ابراهيم، النظم السياسية العربية والاتجاهات الحديثة في دراستها (بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥) ص ص٢٣٣-٢٧٢.

لمزيد من التفاصيل حول الدبلوماسية الدينية للمغرب، انظر :

- Ghita Tadlaoui, Morocco's religious diplomacy in Africa, Brief Policy, Fride, Nº 196 - FEBRUARY 2015: https://www.files.ethz.ch/isn/189093/Morocco%E2%80%99s%20religious%20diplomacy%20in%20Afric.pdf

وانظر أيضاً :

- Cédric Baylocq, Aziz Hlaoua, Diffuser un «islam du juste milieu»? Les nouvelles ambitions de la diplomatie religieuse africaine du Maroc, Afrique contemporaine, 2016/1 (n° 257), pages 113 à 128: https://www.cairn.info/article.php?ID_ARTICLE=AFCO_257_0113

وانظر أيضاً:

- Salim Hmimnat, Morocco's Religious "Soft Power" in Africa As a Strategy Supporting Morocco's Expansion in Africa, Moroccan Institute for Plicy analysis, June 2018: https://mipa.institute/wp-content/uploads/2018/05/Hmimnat-Morocco%E2%80%99s-Religious-%E2%80%9CSoft-Power%E2%80%9D-in-Africa.pdf

٥١- محمد بن أحمد محمد بن على، "حرب الزوايا" بين الجزائر والمغرب: نزاع سرى عمره ٤٠ سنة للسيطرة على الطرق الصوفية، صحيفة الخبر، ٢٩ أغسطس ٢٠١٤.

٥٢- لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع، انظر:

- محمد بن بريكة البوزيدى الحسنى، موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية: التصوف الإسلامى من الرمز إلى العرفان، ج ١، ط١ (الجزائر: دار المتون للنشر والطباعة والتوزيع، ٢٠٠٦)، ص ص٤٧٦.

53- Bakary Sambe, TIDJANIYA: USAGES DIPLOMATIQUES D'UNE CONFR?RIE SOUFIE, Politique trangre, Institut franais des relations internationales, 4/2010, https://www.cairn.info/revue-politique-etrangere-2010-4-page-.843htm

٥٤- أيدت المنظمة الوطنية للزوايا خرق الرئيس بوتفليقة للدستور للبقاء فى السلطة، وقال رئيسها عبدالقادر ياسين: فى ظل وجود بوتفليقة، فإن التفكير فى رئيس آخر حرام، انظر:

- القدس العربى، منظمة الزوايا تدعو بوتفليقة للترشح لولاية خامسة وتعتبر التفكير فى غيره حراما، القدس العربى، ٦ نوفمبر ٢٠١٧: https://www.alquds.co.uk/منظمة-الزوايا-تدعو-بوتفليقة-للترشح-لو/

55- ALI FARÈS, POUR UN TROISIÈME MANDAT DU PRÉSIDENT, La zaouïa Tidjania ou le soutien spirituel de Bouteflika, Liberte, 04/03/2008, https://www.liberte-algerie.com/actualite/la-zaouia-tidjania-ou-le-soutien-spirituel-de-bouteflika-49551

٥٦- يتوقع الخبيرالمصرى فى شئون الحركات الإسلامية والطرق الصوفية، أبوالفضل الإسناوى، أن يتراجع نفوذ هذا التيار بعد عزل الرئيس بوتفليقة، حيث ازدهرت هذه الطرق فى فترة حكمه، لمزيد من التفاصيل، انظر:

– أبوالفضل الإسناوى، معضلة الدور السياسي للتيار الصوفى العربى وكيفية التفعيل بعد ربيع الثورات، الجزء ٣، المركز العربى للبحوث والدراسات، ٢٩ ديسمبر ٢٠١٣: http://www.acrseg.org/2275/bcrawl

٥٧– ألغت الجزائر فى عهد الرئيس بوتفليقة ديون ١٤ بلدا إفريقيا، هى (بنين، وبوركينا فاسو، والكونغو برازافيل، وإثيوبيا، وغينيا، وغينيا بيساو، ومالى، وموريتانيا، وموزمبيق، والنيجير، وساوتومى، وبرنسيب، والسنغال، وسيشل، وتنزانيا)، والتى تقدر بـ٩٠٠ مليون دولار.

- Ameziane Rachid, POLITIQUE, ÉCONOMIE, RELIGION, SOCIÉTÉS: LA POLITIQUE AFRICAINE DE L'ALGÉRIE, Strategica, 28/06/2018

http://stractegia.com/fr/archivos/2557

58- AdlèneMeddi, Mélanie Matarese, Géopolitique: comment Alger a perdu l'Afrique, El Watan, 02/11/2012

٥٩– واحتضنت مدينة فاس المغربية الاجتماع الدولى الثالث لأتباع الزاوية التيجانية لمدة ثلاثة أيام، تم خلالها مناقشة مستقبل الزاوية الصوفية، ووسائل تعزيز دورها فى تضامن الأمة، وإشعاع الإسلام المعتدل والوسطى، بحسب المنظمين.

٦٠– ع.س، ملك المغرب يخطط لاختطاف الطريقة التيجانية، صحيفة الشروق،https://www.echoroukonline.com/ملك–المغرب–يخطط–لاختطاف–الطريقة–التجا

٦١– عبدالرزاق بن عبدالله، الطريقة التيجانية بالجزائر تتبرأ من اجتماع فرعها فى المغرب، رأى اليوم،https:// www.raialyoum.com/index.php/الطريقة–التيجانية–بالحزائر–تتبرأ–من–ا

٦٢– حسن الأشرف، الجزائر تتهم الملك محمد السادس بـ "اختطاف" الطريقة التجانية، هسبريس، ١٥ مايو ٢٠١٤: https:// www.hespress.com/orbites/.209921html

٦٣– محمد بن أحمد محمد بن على، "حرب الزوايا"، مرجع سبق ذكره.

٦٤– نظمت الجزائر يومى ٣و٥ ديسمبر ٢٠١٦ المنتدى الإفريقى الأول للمال والاستثمار، والذى نظمه منتدى رجال الأعمال، بالتنسيق مع وزارة الخارجية. وقد شارك فى هذا المنتدى ٣٧٥٠ مسئولا اقتصاديا وسياسيا من ٤٢ بلدا إفريقيا، تحت شعار "نعمل سويا للنجح سويا"، فى إطار شراكة جنوب – جنوب لمبادلات "رابح – رابح"، التنمية فى إفريقيا من قبل الإفريقيين، ومن أجل الأفارقة.

٦٥– سيدى ولد عبدالمالك، التنافس الجزائرى – المغربى بإفريقيا .. الأسباب والتجليات، الجزيرة نت، ٣٠ أكتوبر ٢٠١٤٧:https:// www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/30/10/2017/التنافس–الجزائرى–المغربى–بإفريقيا–الأسباب–والتجليات

٦٦– الـــــوزارة الأولى، مـــــخـــــطط عـــــمل الحـــــكـــــومـــــة، ص٦١: https://fr.calameo.com/read/ 000781596aea6e9a0dd55?fbclid=IwAR21-hxAsMagfawWvwRJhxxiP8AtF16cmVrqekV6ezgQaBckTmUdsxRQevg

٦٧– المرجع السابق.

■ ■ ■